المرأة في عالم الاقتصاد

تتكبد الأسر والمجتمعات تكاليف كبيرة بسبب ضعف مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي

يرجع تدني مشاركة المرأة في القوة العاملة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إلى أن النساء يتركن العمل عندما يتزوجن وينجبن أطفالاً

حققت منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تقدماً ملحوظاً في رفع وضع المرأة الصحي وتعليمها وكان لتعليم المرأة اثر كبير في خفض معدلات الخصوبة وتحسين الأوضاع الصحية للأسرة وبالرغم من المكاسب المحققة في هذه الجوانب إلا إنها لم تحقق لها مردودات وافية من حيث الرفاه الاقتصادي وللاقتصاد ككل مؤثرة .

صنعاء ١٤ أكتوبر إعداد / ذكرى النقيب

الأثر الاقتصادي

تتكبد الأسر والمجتمعات خسائر بسبب ضعف مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي فيرتفع عبء الإعالة الاقتصادية وهنا يمكن القول أن تحديد مستوى رفاه المواطن بما في ذلك استهلاك الغذاء والملابس والرعاية الصحية وغير ذلك من السلع والخدمات التي يوفرها السوق ليس فقط بقدر ما يكسب الشخص العامل بل والى حد بعيد بالشريحه من السكان الذين يزاولون العمل وأدت ارتفاعات كبيرة في الأجور الحقيقية خلال السبعينات ومطلع الثمانينات بعدد قليل من العاملين إلى أن يعيلوا عدداً كبيراً من الأفراد غير العاملين وان يتمتعوا في الوقت نفسه بمستويات معيشة مرتفعة لكن منذ أواسط الثمانينات اتجهت الأجور الحقيقية إلى الركود والتراجع وزادت معدلات البطالة وأصبح من الصعب بالنسبة إلى العدد الصغير من الأشخاص العاملين أن يوفروا مستويات معيشية تتزايد ارتفاعاً لعائلاتهم وعدد المعالين غير العاملين للشخص العامل الواحد ما يزال في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أعلى منه في أي منطقة أخرى فيقوم كل شخص بإعالة أكثر من اثنين غير العاملين مقارنة مع اقل من شخص واحد في شرق أسيا ومنطقة المحيط الهادئ .

وتتحدد الإعالة الاقتصادية بثلاثة عوامل هي

- معدلات البطالة .
- تركيبة سن السكان .
- قدرة مشاركة المرأة في القوى العاملة .

فحتى لو استطاعت منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أن تلغي البطالة كليا وحتى بعد التكييف حسب الفوارق في التركيبة العمرية فان دخل الواحد يجب ان يعيل ٠,٧٥ شخص في المنطقة أي ثلاثة أضعاف الرقم المماثل في منطقة شرق أسيا والمحيط الهادئ .

المردود الضائع

أدى وجود عدد محدود من النساء المنضويات في سوق العمل في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إلى أن تضيع على نفسها الكثير من المردودات المحتملة من استثماراتها في تعليم المرأة .

تكلفة عالية

من المجالات الأخرى التي تتبدى فيها كلفة تدني مشاركة المرأة مجال الدعم في الأسر التي ترأسها امرأة ويعتبر العمل خارج المنزل في الغالب بالنسبة إلى الأسر التي ترأسها وتعيلها امرأة حاجة لا مفر منها فالأسر التي ترأسها امرأة تقل في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا عن مثيلاتها في المناطق الأخرى وقد تتزايد بسبب ارتفاع معدلات الطلاق وارتفاع العمر المتوقع عند الولادة مما يوحى بارتفاع في عدد السنوات التي تستطيع المرأة أن تتوقع أن تعيشها كأرمل كما أن النساء من ربات الأسر أقوى احتمالاً يشاركن في القوة العاملة من النساء في الأسر التي يرأسها ذكور كما أنهن يتلقين قدراً ضئيلاً فقط دخلهن مما يكسبن بالعمل ٣٦٪ مقابل ٧١٪ في الأسر التي يرأسها ذكور ويعتمدن اعتماداً كبيراً على التحويلات من الأصدقاء ومن العائلة .

البطالة ومشاركة المرأة في القوة العاملة

تنزع معدلات البطالة بين النساء في مختلف أرجاء العالم إلى أن تكون أعلى مما هي عليه لدى الرجال وهكذا نجد أن بطالة المرأة في غالبية بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا " البحرين " الأردن ، الكويت ، لبنان ، قطر ، السعودية ، الأمارات أعلى من بطالة الرجال وتتميز كل من الجزائر واليمن فقط بمعدلات البطالة لدى الرجال أعلى كثيراً مما هي لدى النساء أما على صعيد المنطقة ككل فان معدل البطالة لدى النساء أعلى بنحو ٢٠٪ . ويرجع تدني مشاركة المرأة في القوة العاملة بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا بشكل كبير إلى أن النساء يتركن العمل عندما يتزوجن وينجبن الأطفال ويختلف هذا النمط مما هو سائد في مناطق أخرى حيث يصل مشاركة المرأة إلى ذروتها في أواخر الثلاثينات و أواخر الأربعينيات من العمر .

كما يلعب التمييز في الأجور والتفريق في الوظيفة ضد المرأة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا دوراً اساسياً في تثبيط عزيمة النساء عن العمل لكن لا يفرق هذان العاملان عند الأنماط السائدة في مناطق أخرى و التمازج في العادات الاجتماعية القائمة والنموذج التقليدي للنوع الاجتماعي يفرضان المزيد من القيود على دخول النساء مجال العمل .

كما أن قوانين العمل عموماً لا تشجع النساء وتوجد قوانين عمل يقصد منها حماية النساء ولكنها في الواقع تعمل على عكس المقصود منها وتساهم في ثنى أرباب العمل عند توظيف المرأة .

لماذا يكرهها بعض الرجال؟

رغم أن قضية عمل المرأة لم تعد موضع نقاش في زماننا هذا إلا أن الرجل الشرقي لايزال يرفض فكرة تفوق المرأة عليه في أي مجال.. مستنداً في ذلك إلى عادات وتقاليد لازالت موجودة تمنحه حقوقاً كاملة في العمل والطموح والنجاح، وتسلب من المرأة في المقابل حقوقاً مشابهة، وهو ما يؤدي إلى حدوث صراع خفي غير معلن، يحاول فيه بعض الرجال أن يقفوا حائلاً أمام طموح المرأة، التي ينظرون إليها على أنها كائن أقل قيمة.. ومن ثم تسيطر عليهم مشاعر التفوق فقط لمجرد كونهم رجالا، وهو ما يدفعنا إلى طرح تساؤلات عديدة عن طموحات المرأة، وهل تؤثر بالفعل على الرجل؟ ولماذا يريد بعض الرجال الحد من طموحات المرأة.. وتعزيز كيانهم على حسابها ؟

الإجابة بحثنا عنها لدى علماء النفس والاجتماع وعند نماذج مختلفة من النساء والرجال . فاطمة عوض(محامية) تدافع عن طموح المرأة المشروع قائله: هناك رجال كثيرون يتحدثون عن حرية المرأة وحقها في العمل ولكن عند الارتباط يتخلون فورا عن كل ما قالوه وتصبح آراؤهم السابقة مجرد شعارات فارغة ولا يتذكرون سوى ما تربوا عليه من عادات وتقاليد تمنح الرجل كامل حقوقه في العمل والطموح والنجاح وتسلب المرأة حقوقها المشابهة في المقابل، وإذا تمردت على ذلك الوضع وخرجت للعمل وتقدمت ونبغت وجهوا لها اتهاما بالإهمال في واجباتها تجاه بيتها وزوجها وأنها تفضل العمل على الأسرة وأنها بلا قلب ولا عاطفة وأن شخصيتها أصبحت أقرب للرجولة أي فقدت أنوثتها، وأمام هذا السيل من الاتهامات لا تجد الكثيرات سوى التضحية بأي من الاثنين الأسرة أو النجاح في العمل.

أما سماح حسن طبيبة (عمرها ٤٥ سنة) فتقول : مهنة الطب لها وضعها الخاص فقد يستدعيني أحد المرضى في ساعة متأخرة من الليل، وكان زوجي يتقبل ذلك أو هكذا كنت أعتقد وفي الحقيقة كان يكتم ضيقه في صدره ولا يصرح لي بذلك وبدأت معاملته لي تتغير، وأخذ يتصيد أخطائي ويتشاجر معي ويتهمني بالإهمال ووصل به الأمر إلى أن طلب مني الاستقالة لأنه يرى أن عملي هو الذي يؤثر على اهتمامي بالمنزل ولم يكن ذلك مفاجئا لي لأنني متأكدة من عدم وجود الرجل الذي يحب لزوجته النجاح والتفوق.

اعتقاد شائع إذا كانت هذه هي رؤية النساء فماذا عن وجهة نظر الرجال.. يقول المحاسب عبد المحسن عبدالخالق : أنا لا أعارض عمل المرأة وطموحها ولكني أرفض أن يتعارض ذلك مع واجباتها كزوجة، فالطموح الحقيقي للمرأة هو أن تجعل أسرتها سعيدة وتوفر لأفرادها حياة مستقرة هادئة وطموح الزوجة حتما سيؤثر سلبا على الزواج لأنه لا يوجد زوج يقبل أن تكون زوجته أفضل منه فيصبح هو "زوج الست" ومن الصعب على الرجل الشرقي تقبل هذا الوضع وذلك لا يبخس المرأة حقها كما يعتقد البعض وإنما يصونها لأن الطموح في العمل يستنفد جهد المرأة ووقتها ويعرضها لصعوبات ومنافسات تؤثر على أعصابها، ولذلك تفشل دائما في التوفيق بين عملها ومنزلها ولكن ذلك لا ينفي وجود نماذج لسيدات ناجحات في العمل وفي البيت أيضا ولكنهن قلائل.

وهناك رجال يعترفون علنا بأن المرأة تفوقت عليهم في العمل مثلا يقول د. صفوت

العالم الأستاذ بكلية الإعلام جامعة القاهرة: رغم أننا في عصر الإنترنت والأقمار الصناعية إلا انه مازال هناك اعتقاد شائع بين كثير من الرجال في أن عمل المرأة يمثل عائقاً أمام استمرار حياتها العائلية حتى بعد أن أثبتت المرأة عكس ذلك بنجاحها في تحقيق توازن بين البيت والعمل وأكبر دليل على ذلك وجود نماذج كثيرة مشرفة تفوقت على الرجال في المجال الإعلامي بشكل ملحوظ، فمعظم الأساتذة والمبدعين في الإعلام سيدات، وأنا أرى أن قضية عمل المرأة لم تعد موضع نقاش فقد نجحت كوزيرة وسفيرة ومدرسة إلى جانب أمومتها وأثبتت جدارتها ولايمكن أن نبخسها حقها تحقيقا لرغبة ضعاف النفوس ممن تسيطر عليهم الأنانية.

بعض التنازلات وعن كيفية نجاح المرأة في تحقيق طموحاتها يقول د.عادل صادق أستاذ الطب النفسي بجامعة عين شمس: إن هذا مرهون بنجاح المرأة في تجنب استعراض تفوقها وأن تحاول دائما أن تشعر زوجها بأن تفوقها من تفوقه ونجاحها لا ينقص من نجاحه ويكون لديها استعداد لتقديم بعض التنازلات لتحافظ على أسرتها وخاصة إذا كان زوجها لم يتشبع بعد بروح العصر ولم يقتنع بعد بأن المرأة إنسان يملك عقلا وقدرة على الإبداع والإنتاج قبل أن تكون جسدا ووعاء للجنين.

ويضيف د."صادق" فيقول : طموح المرأة لا يؤثر إلا على شخصية الرجل الضعيف فقط لأن الرجل القوي الذي يثق في نفسه يحترم المرأة ويساعدها على تحقيق طموحها ويعتبرها سندا له لأنها أكثر قدرة على العطاء من غيرها، والرجل الذي يريد أن يحد من طموح المرأة يهدم بذلك ركنا من أركان المجتمع، فزواج الرجل من امرأة متفوقة ونجاحه معها ليس صعبا ولكنه يتوقف على مهارة المرأة وقدرتها على إشعار زوجها بأنها تحتاج إلى وقوفه بجانبها دائماً. ويقول د.صادق أنا لا أتفق إطلاقا مع الاعتقاد بأن طموح المرأة يقف عائقا أمام إحساسها بأنوثتها وجمالها لأن الجمال الحقيقي ينبع من داخل المرأة، والعمل يزيدها إحساسا بذاتها، وبالتالي يزيدها ذلك أنوثة على أنوثتها.

فهم خاطئ بينما يرى د.يسري عبدالمحسن أستاذ الطب النفسي أن التكوين النفسي للرجل يدفعه للإحساس بالراحة عندما يعرف الناس أن منزل الزوجية مفتوح بإمكانياته وأمواله هو فقط وأن زوجته تستمد كبرياءها ووضعها الاجتماعي من مكانته ووضعه هو، وأي صورة خلاف ذلك يرفضها المجتمع أيضا يرفضها لذلك يحاول الرجل بشكل دائم تعزيز كيانه على حساب المرأة، ويسعى لاختيار شريكة حياته على أسس تتفق مع مكوناته الشخصية وطبيعة تكوينه النفسي، وإذا شعر أن شريكته سوف تبدو أكثر نجاحا وأوسع انتشارا فإنه يخشى الارتباط بها لأنه يعتقد أن نجاحها سيجعلها دائما في وضع مقارنة معه ويعيش في قلق دائم خشية أن تتفوق عليه لذلك نجده دائما يعمل بميكانيكية دفاعية لا شعورية تخفي ضعفه وقلة حيلته أمام المرأة بأن ينتهز أقل تقصير منها في منزلها، أو تجاه أولادها ويفتعل المشاجرات ليتهمها بالإهمال ويرجع ذلك إلى اهتمامها الزائد بعملها لأن هناك اعتقاداً راسخاً في أذهان الكثير من الرجال بأن نجاح المرأة في عملها لابد أن يكون على حساب حياتها الخاصة أو على حساب مشاعرها وإحساسها بأولادها وبيتها، وهذا فهم خاطئ لأن عمل المرأة يجعلها أكثر احتكاكا وأكثر تجربة وخبرة وذلك ينعكس على تصرفاتها مع زوجها وفي تربيتها لأطفالها لأنها ستصبح أكثر فهما وتقديرا لظروف عمل زوجها وأكثر إحساسا باحتياجه للراحة والهدوء في البيت لأنها مثله تكون في حاجة إلى ذلك.

غيرة الرجل ويرى د.أحمد المجدوب الخبير بمركز البحوث الاجتماعية بالقاهرة أن غيرة الرجل من كفاءة المرأة هو نوع من الغيرة اللاشعورية لأنه لايزال يعيش في أفكار وعقليات الماضي بالنسبة لوضع الرجل في المنزل والحياة الزوجية وليس هو المسئول الأول عن ذلك، فالرجل يقضي طفولته وشبابه محاطا بتقاليد قديمة تؤمن أن المرأة كائن أقل قيمة لذلك يوجد لدى الرجال شعور دائم بالتفوق لمجرد كونه رجلا ويكره أن تتفوق عليه المرأة في أي مجال، وهو في الغالب يحجم عن الارتباط بالفتاة الطموحة أو الناجحة في عملها ويفضل المرأة الضعيفة الكسولة لأنها ترضي غرورة وتشعره دائما أنه الأفضل.

ويؤكد د. المجدوب أن المرأة الناجحة في عملها، ناجحة أيضا في بيتها لأن نجاحها هذا يشعرها بكيانها ويمنحها الثقة بنفسها وينعكس ذلك بالضرورة على أطفالها الذين تغرس فيهم بذرة الثقة في أنفسهم ليشبوا وهم أكثر صلابة في مواجهة المشكلات، وذلك على اعتبار أن فاقد الشئ لا يعطيه فإذا شعرت الزوجة أنها تابع لن تستطيع أبدا أن تعلم أولادها الاستقلالية والاعتماد على النفس، وذلك عكس الأم العاملة التي تمنح أولادها الفرصة للاعتماد على النفس والسير في طريق النضج بسرعة، وللأسف هناك كثير من الأمهات يؤمن بأن رسالتهن وأهدافهن في الحياة هي تربية أبنائهن، وأن هذه الرسالة تنتهي بانتهائهن من تربيتهم وخروجهم من البيت مستقلين بحياتهم.. وتعتقد أنها بذلك تمنحهم الاهتمام والرعاية .

حق مشروع وتقول د.عزة كريم الخبيرة بمركز البحوث الاجتماعية بمصر: إن الطموح حق مشروع للمرأة وليس تمردا كما يعتبره البعض ممن يتهمونها بمحاولة الخروج على ما تعارف عليه المجتمع فالمرأة والرجال عضوان في المجتمع يكمل بعضهما البعض ولكن لا يجعلها تتناسى دورها كزوجة وأم فيجب أن يكون بيتها رأس أولوياتها ثم يأتي بعد ذلك العمل لأنه مهما تفوقت المرأة ومهما استقلت اقتصاديا لن تتمكن من الاستغناء عن الأسرة وهناك قاعدة تبنى عليها أي أسرة، وهي توزيع الأدوار فمنذ قديم الأزل والرجل صاحب الدور الأول والأساسي في العمل وتحمل المسئولية الاقتصادية والمرأة لها دورها الأول في تكوين الأسرة ورعايتها، وذلك الوضع يتفق مع طبيعة البشرية وطبيعة أي مجتمع وأي وضع عكس ذلك غير مقبول.

وتؤكد أن عمل المرأة لا يقل أهمية عن عمل الرجل و٩٠٪ من مجالات العمل تدخل فيها المرأة وتثبت جدارتها ولكن يجب أن تكون المرأة واضحة ومحددة تماما في أنها ستكون زوجة وأن أسرتها لها الحق الأول في رعايتها ثم بعد ذلك العمل، وهذا الوضع لا يقلل من شأن المرأة إطلاقا بل على العكس يتيح لها الفرصة لإثبات كفاءتها في ظل الدورين دورها كأم وربة أسرة ودورها كعاملة وموظفة في المجتمع. وتضيف : نحن جميعا نتفق مع القول بأن الشئ إذا زاد عن الحد انقلب إلى الضد خاصة وأن هناك بعض السيدات تصل طموحاتهن إلى درجة تجعلهن يرفضن الزواج حرصا على التفوق والتميز وبعضهن يعملن صباحا ومساء وذلك يؤدي إلى حدوث خلل في المجتمع، لأن هناك قوانين اجتماعية لابد أن تحترم حتى يتوازن المجتمع ومن ضمن هذه القوانين توزيع الأدوار والتوافق بين الرجل والمرأة لكي لا يحدث صراع.. ومن أهم القوانين الاجتماعية التي يجب أن تحترمها المرأة ألا ترفض الزواج من أجل العمل، فالزواج ضرورة دينية واجتماعية.

الطلاق في المجتمعات العربية

إرتفاع معدلات الطلاق يعد من أخطر المشكلات التي تهدد أي مجتمع وتهز كيان الأسرة وهو ما نلاحظه الآن داخل محاكم الأحوال الشخصية في الدول المختلفة والتي تحولت إلى ما يسمي محاكم الأسرة..

حيث زادت نسبة الطلاق خلال العشرين عاماً الأخيرة وأصبح من الظواهر المعروفة في المجتمعات العربية ووفقاً للدراسات الاجتماعية الأخيرة فهناك العديد من الأسباب وراء هذه الظاهرة أنقسمت ما بين الرجل والمرأة فهناك ٤٠٪ منها تعود إلى عدم الإنجاب و٣٠٪ للخيانة الزوجية و١٠٪ لفارق السن الكبير بين المتزوجين ٢٠٪ طلاق تعسفي إلى جانب الظروف الاقتصادية وعدم التكافؤ الاجتماعي وصعوبة التفاهم المشترك الأمر الذي يخلف وراءه زلزالاً يدمر الأسرة ويشتت الأبناء لينغمسوا في طوفان الحياة الذي يفتقد السفينة أو المركب الذي ينقذهم وينقلهم إلى بر الأمان حتى يصبحوا ضحايا لأبغض الحلال عند الله هوالطلاق كما قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم. ليبقى الطلاق مشكلة تهدد أمن واستقرار أي أسرة مما سيدعي وقفة لمناقشة الأسباب وكيفية علاجها والبحث عن الوسائل التي تحقق الحياة الزوجية الآمنة الخالية من الثغرات ونقاط الضعف التي تؤدي في النهاية إلى حياة زوجية شعارها لا للطلاق نعم للبقاء..

الظروف الاقتصادية

إن العامل الاقتصادي هو العامل الأول المسبب للطلاق لأنه يصنع الخلافات المالية بين الزوجين ويحول الحياة بينهم إلى علاقات مصلحة ومشاركة مادية وليست مشاركة عاطفية يعززها الحب والتفاهم ومن هنا يتولد الجفاء بين الزوجين نتيجة الضغوط الاقتصادية والتي تؤدي إلى كل الأسباب الأخرى مثل المعاملة السيئة من قبل الزوج وعدم توفير الاحتياجات التي يتطلبها حياة الأسرة كذلك هناك من يعتمد على مرتب الزوجة كذلك الإدمان يكون أسبابه أحياناً الهروب من الضغوط الاقتصادية كذلك عدم الإنجاب ولو توافرت المادة يمكن علاج العقم والقضاء على هذا السبب باللجوء إلى العمليات الحديثة لإنجاب الأطفال سواء عمليات تلقيح صناعي أو غيره والتي تحتاج إلى مبالغ طائلة ومن هذا المنطلق نجد أن العامل الاقتصادي مؤثر قوي في إستمرار الحياة بين الزوجين أو إنفصالهما..

وهذا ليس فقط من الطبقات الفقيرة أو الوسطى بل أصبح هذا العامل أيضاً منتشراً بين الطبقات الغنية أيضاً. فالزوجان في هذه الطبقات يختلفان كذلك على المادة ولكن على مستوى أعمق فقد أصبح العامل المادي هو المسئول الأول عن الخلافات الزوجية بين الأزواج في مختلف الطبقات،

كذلك الدافع الاقتصادي يجعل كثيراً من الفتيات يتزوجن رجالاً أكبر منهن في السن من أجل الأموال لأن الشاب الذي يناسبها في العمر تكون إمكانياته ضعيفة أمام طموحاتها المادية، وفي السنوات الأخيرة أصبحنا نجد شباناً صغاراً يتزوجون نساء يكبرنهم في السن متطلعين إلى مساعدتهن لهم مادياً وكل هذا مرجعه العامل الاقتصادي وبالتالي فإن هذه الزوجات محكوم عليها بالفشل لعدم التكافؤ الفكري وللفارق الكبير في السن.

دور المرأة الحيوي في بناء الاقتصاد المنزلي لمجابهة الفقر وتفعيل الذات

المرأة، وهي تؤدي دورها الاجتماعي بعيداً عن البذخ والتكلف، ستحس أنها عنصر فاعل، حقيقة وواقعاً، فهي لم تؤد هذا الدور مثلاً قصراً أو إلزاماً أو للضرورة، وبذلك ستقدم نموذجاً حياً لتفعيل دور المسلمة.

ثم إن ما ينتظره المجتمع من المرأة هو ألا تتخلى عن دورها في المشاركة الفعالة والإيجابية

المرأة، وهي تؤدي دورها الاجتماعي بعيداً عن البذخ والتكلف، ستحس أنها عنصر فاعل، حقيقة وواقعاً، فهي لم تؤد هذا الدور مثلاً قصراً أو إلزاماً أو للضرورة، وبذلك ستقدم نموذجاً حياً لتفعيل دور المسلمة.

ثم إن ما ينتظره المجتمع من المرأة هو ألا تتخلى عن دورها في المشاركة الفعالة والإيجابية

مع أخيها الرجل في أدوار الحياة المختلفة داخل المجتمع، وذلك من دون إلغاء للفروق الخَلْقية والوظائف الفطرية المنوطة بكل منهما، ولا يفهم من هذا الكلام أنه دعوة لإلغاء أنوثة المرأة بمعنى ترجيلها، ولا ترهيل الرجل أو تأنيثه على مذهب دعاة التحرر والتعري والتبدل.

وعلى المرأة من جهة أخرى أن تتخذ خطوات إيجابية شجاعة، من أجل مجابهة الفقر الذي يضرب بها وبأسرتها، فإن عملها بجد واجتهاد في سبيل التخفيف من حدته أو حتى الوصول إلى اجتثاثه أمر مطلوب من الرجل والمرأة، وعلى المرأة المساهمة بذلك بقدراتها وجهودها الميسرة لها، وهو ما يمكن تسميته بمبدأ "المبادرة".

فإن كثيراً من المجتمعات تشهد للمرأة بالعمل الحثيث والصبور والمتكامل، لما لها من صفات الصبر والتفاني في العمل، حباً فيه وفي أسرتها ابتداء، فهي تعمل لأجل إعالة أفراد أسرتها، الأمر الذي يخول لها القيام بدورها الكامل في المجتمع، وبحسب متطلبات العصر، لأنها أساس أي بناء للمجتمع، ذلك أن نجاح المرأة في هذا يفعِّل دورها في المساهمة في ازدهار المجتمع والأمة، أما إن بقيت سلبية اجتماعياً فإنها ستكرس التخلف والفرقة.

وقد أظهرت الدراسات أن الفقراء لديهم القدرة على الارتقاء بمستواهم المعيشي، ولكن لعدم تمكنهم من الحصول على الموارد المالية اللازمة للاستثمار، فإنهم لا يستطيعون إيجاد فرص للعمل، "ومن ثم كان الحل الإسلامي لمشكلة الفقر هو ضمان حد الكفاية لكل فرد، يوفره لنفسه بعمله وجهده، فإن لم يستطع ذلك لسبب خارج عن إرادته كمرض أو عجز أو بطالة... الخ، تكفلت له بذلك الدولة من مال الزكاة".

وهذا رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام يقول: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه» رواه البخاري، في كتاب الزكاة. فيدلنا الحديث النبوي على أهمية البحث عن عمل أي عمل أفضل من مدّ اليد للتسول وسؤال الناس الصدقة.

وهنا تظهر أهمية "المشروعات الصغيرة" التي يحاول أصحابها من خلالها اقتلاع جذور الفقر بصورة مستديمة متواصلة، لا لسد الحاجات الآنية بتوفير الغذاء اليومي فقط، وهو مطلب مهم

يستحقون التشجيع عليه، خصوصاً من أصحاب القرار في بلادهم، والأمر يصبح أعظم، إذا كانت صاحبة المشروع امرأة تعيل أسرة بكاملها.

فالمطلوب من الحكومات "تبَنِّي برامج تدريب تتوافق واحتياجات سوق العمل لتدريب النساء على مجالات عمل جديدة ونافعة".

ومنه اشتهرت الكثير من المعامل وورشات العمل الصغيرة وكما يسمى بعضها بـ "المشروعات الصغيرة"، والتي تبدأ عادة من فكرة بسيطة لأي فن أو عمل تتقنه المرأة والأسرة عموما لينتهي بتوزيعه وبيعه، والتي تعد أكثرها بيتية، وهي إما تتعامل بصفة مباشرة مع المصانع أو تتعامل مع المدارس والفنادق، أو أي مسوق آخر بديل، حسب المنتوج الذي تعده المدرسة في بيتها. سواء كانت الخياطة والحياكة، أو طبخ أطباق الأكل والحلويات، أو أي فن من فنون الصناعة اليدوية. ومنه تكون المرأة عاملاً فعالاً يدر مدخولا للأسرة المحتاجة.

وفي إطلالة على أنواع بعض ورشات العمل البيتية، أو كما يسميها أهل الاقتصاد "المشروعات الصغيرة"، يظهر بعض منها فيما يلي:

الخياطة:

الحقيقة أن مهنة الخياطة والتفنن فيها عمل فنّي راقٍ لا يتقنه إلا حاذق ماهر، والنساء اللواتي لهن هذه الهواية حباهن الله بنعمة يحسدن عليها، لأنها تدر دخلا وفيرا، إذا ما امتهنت المرأة فن الخياطة، ومثله فن التطريز، لأن اللباس أمر ضروري في حياة الإنسان، فالخياطة امرأة تقدم الخير للناس في إبداع الملابس البهية، سواء للاستعمال اليومي أو للمناسبات أو للأزياء الرسمية للمصانع والمدارس ورياض الأطفال وبعض المحلات التجارية، حيث أن المرأة تتعاقد مع أي جهة من هذه الجهات لتخيط لهم زيهم المطلوب أثناء أداء العمل أو الدراسة، وعادة ما يكون هذا التعاقد لمرتين في السنة، وهو مما يجلب دخلا للأسرة، دخلا قارًا لموسمين متفرقين، ناهيك عن الخياطة للأفراد.

الطبخ:

وهو الأمر نفسه مع سابقه أو أفضل منه، حيث يعد الطبخ فنّا تتقنه أغلب النساء، وهو مما يحتاج إليه الإنسان يوميا، فالمرأة تستطيع مساعدة أهلها وذويها في زيادة الدخل اليومي للأسرة من خلال تعاقدها مع مطاعم عامة أو داخل المؤسسات التعليمية، إضافة إلى الفنادق ومحلات الحلويات، وفي المجتمع الماليزي مثلا لا تحتاج المرأة إلا إلى أن تشتري بعض الأغراض البسيطة غير المكلفة لتفتح أمام بيتها كشكا صغيرا تبيع فيه الأكل في كل وقت بدء من بعد صلاة الصبح إلى منتصف الليل، فتوفر على نفسها مشقة البحث عن مسوق، ومشقة الابتعاد عن البيت وأسرتها، مما يكفل لها عملا غير مرهق.

الأعمال اليدوية (الفخارية، والنسيجية):

تعتبر الأعمال اليدوية التي تمارسها النساء عادة، خصوصاً في القرى والأرياف من الأعمال المميزة التي تتميز بالجودة والإتقان، وإن كانت تأخذ وقتا في إعدادها، ولكنها في الوقت نفسه تكون قابلة للتسويق والتوزيع بشكل كبير في الأماكن السياحية، وحتى على قارعة الطرقات أين يتوقف الباعة يستوقفون سيارات السياح ومرتادي الأماكن السياحية.

زراعة بعض المنتوجات الزراعية البسيطة في حديقة البيت/ الزراعة على سطح البيت:

بدأ مؤخرا في مصر مثلا الحديث عن إمكانية الاستفادة من أسطح المنازل والبيوت في الزراعة، وهو مما سيسهل الحصول على خضراوات نقية خالية من الهرمونات، ومنه أيضا توفير عمل لربات البيوت.

فهذا العمل لا يحتاج إلا لمجهود ومال قليل _كما ذكر ذلك صاحب فكرة هذا المشروع– ورعايتها سهلة وبسيطة، كما أن إنتاجها عادة ما يكون مبكرا على الطبيعي.

وهذه المشروعات إما أن تساعد الأسرة نفسها في الحصول على مبتغاها الغذائي أو يمكن لها التعاقد مع وزارة الزراعة كما حدث في مصر، حيث " تم التعاقد على تنفيذ مشروعين، الأول مع منظمة الأغذية والزراعة "الفاو" لتدريب الفتيات على الزراعة بدون مبيدات فوق أسطح المنازل، والثاني مع هيئة المعونة الكندية لتدريب ألف فتاة أخرى بمحافظة الفيوم، وذلك بهدف توفير فرصة عمل مناسبة يمكن لربة البيت أن ترفع بها دخل أسرتها دون الخروج من المنزل".

تربية النحل:

يسهل هذا المشروع في المناطق المفتوحة، حيث يمكن للنحل أن يتنقل بحثا عن غذائه اليومي، وبالتالي فإن اعتماد هذا المشروع يتم بطريقين اثنين، إما أن يتوفر لدى الأسرة المكان المناسب لتعريش النحل، ووضع بيوته الخشبية، وإما أن تستأجر لهذا الغرض عند صاحب أرض أو مزرعة في مكان قريب من الحقول التي يرتادها النحل عادة.

وهذا المشروع لا يكلف الشيء الكثير، كما أنه لا يحتاج إلا لمجهود قليل جدا، ومدخوله يكون مرة في السنة، ولكن عسل النحل عادة ما يكون سعره مرتفعا في الوقت الذي لا يبخل الناس عن شرائه، لما له من أهمية صحية.

تربية الأرانب:

لم تعد تربية الأرانب مجرد هواية لبعض المزارعين في السابق، بل أصبحت تعتبر مشروعا اقتصاديا مفيدا، يدر الربح الكبير، فالأرانب سريعة التوالد وأولادها كثر!! والمختصون يرون أن تربيتها سهلة، إلا أنها تحتاج إلى جهود ضخمة في النظافة اليومية.

تربية الأسماك على سطح البيت:

ظهرت هذه الفكرة عندما تقدم أحد طلاب كلية الزراعة بجامعة عين شمس بالقاهرة ليقترح استغلال أسطح مباني الكلية لإنشاء أحواض خشبية لتربية الأسماك، ثم تلتها تجارب أخرى، مثل التجربة التي قام بتنفيذها أحد الفنادق بعد أن وجدت إدارة الفندق في هذا المشروع وسيلة تمكنها من الحصول على احتياجاتها من الأسماك الطازجة، فما بالك بالأسرة التي تحتاج للغذاء اليومي، خصوصاً بعد أن أثبتت التجارب صلاحية وفعالية نجاح هذا المشروع عندما يقترن مع مشروع زراعة الخضراوات فوق الأسطح حيث تتم عملية الاستفادة الثنائية والعكسية بين الخضراوات والأسماك .

التعاونيات الاستثمارية (الاقتصاد المنزلي الجماعي):

إن الفكر الاقتصادي التعاوني فكر أصيل في الفقه الإسلامي، والحل التعاوني قادر على القضاء على مشكلة رأس المال الذي تعاني منه المشروعات الصغيرة.

فإذا ما تكاتفت أيدي الأسرة الواحدة أو مجموعة من الأسر في مشروع عمل واحد مع إحدى المؤسسات أو المصانع كما هو الأمر المعمول به في الصين واليابان وماليزيا مؤخرا، فإن النتيجة ستكون مجدية وفعالة، وتأخذ وقتا قصيرا، إذ أثبتت التجارب أن أفراد الأسرة أيدي عاملة ماهرة وهي تؤدي عملها داخل البيت من دون الحاجة للذهاب للمصنع، إذ سينحصر دور المصانع في التمويل والتسويق والتوزيع، ويبقى للأسرة دخل قار.

أو اللجوء إلى انخراط الأسر في المشروعات الصغيرة التي تدخل في نظام "التصنيع العنقودي" كما تسمى في ماليزيا، أو "الصناعات المساندة" كما تعرف في اليابان، حيث يتمثل دور الدولة بعد ذلك في الترويج والتسويق لهذه المنتجات، إضافة إلى تبني مجموعة من البرامج المساعدة على تشجيع عمل هذه المشروعات، مثل برامج تدريب العمال، والإعفاء الضريبي، ثم تزويدها بالقروض الميسرة ، وهي إجراءات كفيلة بتشجيع وتحفيز العمال البسطاء على العمل والدخول في معترك برامج التنمية الاقتصادية للدولة.

وقد نقلت مجلة" الأسرة" السعودية دراسة علمية مفادها أن ٤٦ مليون من أصحاب الأعمال المنزلية في أمريكا– ومعظمهم من النساء– يعملون في منازلهم لإيجاد موازنة أفضل بين العمل والأسرة، ويكسبون دخلا أكثر من دخل موظفي المكاتب بنسبة ٢٨٪.

وممن أولى أهمية لهذا الأمر في الدول الإسلامية – حسب علمي– مجلس الوزراء السعودي كما جاء في قراراته الصادرة بتاريخ ١٢/٤/١٤٢٥هـ بشأن زيادة فرص عمل المرأة في القطاع الأهلي، ما سماه " العمل عن بعد"، وبرنامج" الأسر المنتجة"، ما نصه: "على وزارة العمل بالاشتراك مع وزارة الاقتصاد والتخطيط ووزارة الخدمة المدنية ووزارة الخدمة الاجتماعية اتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ أسلوب "العمل عن بعد" كأحد المجالات الجديدة التي يمكن أن تعمل من خلالها المرأة، وتنفيذ برنامج الأسر المنتجة، وتوفير الدعم اللازم لإنجاحها".

يتضح مما سبق أن برامج التنمية الاقتصادية التي تعتمد وتستند على "التصنيع العنقودي" لها فوائد كبيرة في دعم الاقتصاد الوطني عموما، وإيجاد دخل قار للأسرة المشاركة خصوصا، وهو ما من شأنه أن يوفر فرص عمل كثيرة وقارة لأفراد الأسر الفقيرة، والنساء خصوصا، إذ تثبت الدراسات أن أكثر الأسر الفقيرة هي المعولة من قبل النساء، أي أن العائل هو الأم في ظروف غياب الأب لوفاة أو طلاق أو سجن أو عجز مرضي الخ...

الدراسة وآفاق البحث:

– تنظيم برامج توعية للمرأة بدورها الحيوي في المجتمع ومسؤولياتها تجاه أسرتها ووطنها.

تبنّي الحكومات لبرامج عمل تدريبية للنساء في مجال خبراتهن وقدراتهن للانتفاع بهن في المؤسسات الصناعية ومراكز التشغيل.

– تبنّي المشروعات الصغيرة التي تعت